الرسالة

(غلاطية ١: ١١–١٩)

يا إخوةُ أعلمكم أنَّ الإنجيلَ الذي بشَّرتُ به ليس بحسب الإنسانِ* لأني لم أتسلَّمْهُ وأتعلَّمْهُ من إنسانٍ بل بإعلانِ يسوعَ المسيحِ* فإنَّكم قد سمعتم بسيرتي قديماً في مِلَّةِ اليهودِ أنّي كنتُ أضطهدُ كنيسةَ اللهِ بإفراطٍ وأدمّرُها* وأزيدُ تقدُّماً في مِلَّةِ اليهودِ على كثيرينَ من أترابي في جنسي بكوني أوفرَ منهم غَيرةً على تقليداتِ آبائي* فلمّا ارتضى اللهُ الذي أفرزني من جوفِ أمّي ودعاني بنعمتهِ* أنْ يُعلِن ابنَهُ فيَّ لأُبشِّرَ بهِ بين الأمم لساعتي لم أُصغِ إلى لحمٍ ودمٍ* ولا صَعِدْتُ إلى أورشليمَ إلى الرسلِ الذينَ قبلي بل انطلقتُ إلى ديارِ العربِ وبعدَ ذلك رَجَعتُ إلى دمشقَ* ثمَّ إنّي بعدَ ثلاثِ سنينَ صَعِدتُ إلى أورشليم لأَزورَ بطرسَ فأقمتُ عندَهُ خمسةَ عشرَ يوماً* ولم أرَ غيرَهُ من الرسلِ سوى يعقوبَ أخي الربّ.

مسرة الله الآب

نرتّل يوم عيد الميلاد: «اليوم بيت لحم تتقبّل الجالس مع الآب على الدوام. اليوم الملائكة يمجّدون كما يليق بالله، الطفل المولود هاتفين: المجد لله في الأعالي وعلى الأرض السلام وفي الناس المسرة». بهذه العبارات تعلن الكنيسة تحقيق مسرّة الله الآب في البشر بتجسّد ابن الله الوحيد، كلمة الله الذي كان «في البدء... عند الله» (يو ١: ١)، وظهوره بين الناس من أجل استعادة آدم الساقط وكلّ ذرّيته. الأناجيل المقدّسة تشدّد على هذا الظهور والإعلان لمسرّة الآب لا في حدث الميلاد وحده، بل في معموديّة الرب يسوع: «هذا هو إبني الحبيب الذي به سررت...» (مت ٣: ١٧، مر ١: ١١، لو ٣: ٢٢)، وفي حدث تجلّيه على جبل ثابور (مت ١٧: ٥، مر ٩: ٧، لو ٩: ٣٥).

يعلّم آباؤنا القدّيسون المبدأ اللاهوتي الأساس، أن كلّ الأشياء في التدبير الإلهي تبدأ وتنتهي عند الآب. الآب هو الذي يشاء في الثالوث القدوس، هو الذي يُسَرُّ، هو الذي يبدأُ الكلّ، هو العلّة البادئة، والآب أراد خلاص الإنسان وقداسته عبر اتحاده بنعمة الله.

الآب سُرَّ أن يَتّحدَ الإنسان المخلوقُ بالله غير المخلوق، أنْ يوحِّدَ العالمَ بذاته ولكن ليس بأيّ طريقةٍ بل بالابن الوحيدِ، هذه هي مَسَرَّةُ الآب. مسرةُ الآب هي أن يأتي العالمُ إلى شركةٍ أبدّيةٍ معه لكي يستطيع العالمُ أن يحيا. كانت المبادرةُ الأولى من أجل خلاص الإنسان مبادرةَ الآب.

العدد ٢٠١٨/٥٢
الأحد ٣٠ كانون الأول
تذكار القديسين يوسف الخطيب وداود الملك ويعقوب أخي الرب والشهيدة أنيسة
اللحن السادس
إنجيل السَحَر التاسع

الابن والروح القدس يُشاركان الآب في مشيئته. لكنّنا نميّز بين المشاركة في المشيئة وبين كَونِ الآبِ علّة التدبير الإلهي وصاحبَ المبادرةِ فيه. هناك حوار داخل الثالوث القدوس هناك «نعم» واحدة، الابنُ يَضَعُ ذاتَه في تصرُّفِ الآب، يُسَرُّ هو أيضًا. يُسَرُّ أن يكونَ هو ذاكَ الذي من خلالِه تتحقَّقُ مسرَّةُ الآبِ، أي اتحادُ المخلوق بغير المخلوق.

خاصيّة مشاركة الإبن في التدبير الإلهي أو دورُه هو أوّلًا، أن يُذعِنَ لمسرّة الآب، وبالتالي أن يصير هو

الواسطة الذي يَتَحقَّق فيها اتّحاد المخلوق بغير المخلوق. الآب ليس محور اتحاد المخلوق بغير المخلوق، ولا بالآب يتَحقَّق هذا الاتّحاد. الخليقةُ لا تَخلُصُ بالآبِ وحدِه. خلاصُ الخليقةِ يكون بتقديمِها إلى الآبِ، باقتيادِها إلى الآبِ بالإبن.

أمَّا الروح القدس فله خاصيّة مُمَيِّزَة ودورُه الخاصّ في التدبير الإلهي. هو الذي يُجسِّدُ المسيحَ في الخليقة مُقدِّمًا بحلوله إمكانيّة انفتاح الخليقة على المسيح؛ أن تنفتح الخليقة لتتمكّن من احتواء تَجَسُّدِ المسيحِ. الخليقة غير قادرة بمحدوديّتها على الدخول في شركة مع الله. إمكاناتها لا توصلها إلى الله، هذه ليست نتيجةً للسقوط، هذه نتيجةُ المخلوقيّة. ينبغي لأجل ذلك أن تتخطّى حدودها. قال رئيس الملائكة جبرائيل للسيدة العذراء في البشارة: «الروح القدس يحلّ عليكِ وقوّة العلي تظلّلكِ» (لو١: ٢٦–٣٥).

نرتل في الميلاد: «الآب سرّ مرتضيًا، الكلمة صار جسدًا، والبتول ولدت إلهًا متجسّدًا...» الخليقة غير قادرة بإمكانيّاتها أن تندرج في غير المحدود. لا يستطيعُ المحدودُ أنْ يَسَعَ غيرَ المحدودِ إلاّ إذا تخطّى حدودَهُ. هنا يأتي دورُ الروح القدس الذي يجعل الإنسان يتخطّى حدوده الدهرية. الروح القدس يتآزر مع الإبن لتتحقّق إمكانيّة توحيد الخليقة مع الإله غير المخلوق في الابن، وليس في الروح القدس، لأنَّ الروح القدس يربط الخليقة بالإبن لا بذاتِه.

الإبنُ لا يعملُ من دون حضورِ الآب والروح القدس، والروح القدس لا يعمل من دون حضور الآب والإبن، ولكن لا يمكننا الخلط بين دور كلٍّ من الأقانيم في التدبير الإلهي.

إيماننا وحياتنا المسيحيّة يقومان على هذا التدبير الذي فيه الآب يُسَرُّ، والابنُ يقدِّمُ ذاتَه لكي تندرجَ الخليقةُ في شركةِ اللامخلوق فيربطها بالآب، أمّا الروح القدس فيعتق الإنسان والخليقة كلها من محدوديّة المخلوق. كلّ هذه الأمور تحدث داخل الكنيسة لكنّ محورها هو الإبن. لهذا تدعى الكنيسة «جسد المسيح» ولا تُدعَى جسد الآب أو جسد الروح القدس.

غاية الخلق هي هذا الاتّحاد للخليقة بالآب «من الآب بالابن في الروح القدس»، كما يوضح آباؤنا القديسون. وهذا يحصل في الكنيسةِ جسدِ المسيحِ. فإنّ الاتّحادَ المُطلَقَ للإنسان بالله هو جسد المسيح أي الكنيسة. إذًا الكنيسة هي غاية الخلق.

الله الآبُ، بخَلقِه الكونَ أرادَ أن يجعلَه كنيسة. ولكي يحصل هذا الأمر كان لا بدَّ من موافقة الإنسان لأنّه من خلال الإنسان تُقَدَّمُ كلُّ الخليقةِ لله. لكنَّ الإنسان من حيث هو تاجُ الخليقة، عِوض أن يُقدِّمَ ذاته لله انحرف عن الوصيّة الإلهيّة وعن غاية خلقه. حاد عن خطّة الله في تحويل العالم إلى كنيسة حين رفض طاعة الله. يقول القدّيس مكسيموس المعترف «كان لابدّ من إيجاد طريقة أُخرى من أجل تخليص العالم واتّحاده بالله».

هذه الطريقة الأُخرى هي تجسُّدُ الابن وسط الخليقة الساقطة أي المائتة. بات ضروريًا للابن الوحيد وللإنسان عمومًا وللخليقة

الإنجيل

(متى ٢: ١٣–٢٣)

لمّا انصرف المجوسُ إذا بملاك الربّ ظهر ليوسفَ في الحلم قائلاً قُمْ فخُذِ الصبيَّ وأمَّهُ واهْرُبْ إلى مصرَ وكُنْ هناك حتى أقولَ لك* فإنَّ هيرودسَ مُزمِعٌ أن يطلبَ الصبيَّ ليُهلِكَهُ* فقام وأخذ الصبيَّ وأمَّهُ ليلًا وانصرف إلى مصر* وكان هناك إلى وفاة هيرودس ليتمَّ المقول من الربّ بالنبيّ القائل: من مصر دعوت ابني* حينئذٍ لمّا رأى هيرودس أنَّ المجوسَ سخروا بهِ غضب جدّاً وأرسل فقتل كلَّ صبيانِ بيت لحم وجميعِ تخومها من ابنِ سنتين فما دونَ على حسب الزمان الذي تحقَّقَهُ من المجوس* حينئذٍ تمَّ ما قالهُ إرمياءُ النبيُّ القائل: صوتٌ سُمع في الرامةِ نوحٌ وبكاءٌ وعويلٌ كثيرٌ. راحيل تبكي على أولادها وقد أبَتْ أن تتعزّى لأنّهم ليسوا بموجودين* فلمّا مات هيرودسُ إذا بملاكِ الربّ ظهر ليوسفَ في الحلمِ في مصرَ قائلًا قُمْ فخُذِ الصبيَّ وأمَّهُ واذهبْ إلى أرض إسرائيل فقد مات

طالبو نفسِ الصبيّ* فقام وأخذ الصبيَّ وأمَّهُ وجاءَ إلى أرض إسرائيل* ولما سمع أنَّ أرشيلاوس قد مَلَكَ على اليهودية مكانَ هيرودس أبيهِ خاف أن يذهبَ إلى هناك وأُوحيَ إليهِ في الحلم فانصرف إلى نواحي الجليل* وأتى وسكن في مدينةٍ تُدعى ناصرة ليتمَّ المقول بالأنبياءِ إنَّهُ يُدعى ناصريّاً.

تأمل

«المسيح ولد، فمجّدوه. المسيح أتى من السموات فاستقبلوه، المسيح على الأرض فارتفعوا. رتّلي للرب أيتها الأرض كلّها» ولكي أعبّر بكلمة واحدة، بلسان الأرض والسماء أقول: ليكن فرح في السموات وما أظلّت والأرضيين وما أقلّت، لأنّ السماوي صار أرضيًّا، المسيح تجسّد، فلنتهلّل بخوف وفرح. خوف من الخطيئة، وفرح في الرجاء. المسيح ولد من البتول، فتعفّفن أيتها النساء لكي تصبحن أمّهات للمسيح. من لا يركع ويسجد للمولود منذ البدء؟ من لا يمجّد الظاهر لنا أخيراً؟

أيضاً يتبدّد الظلام، وأيضاً يظهر النور، ومن لا أمّ له من جهة أبيه يصير بغير أب من جهة أمه. النواميس الطبيعيّة تنحل فمن الضروريّ أن يكتمل بجملتها أن يمرّوا بخبرة الموت لكي يبلغوا الاتحاد، أي لا بدّ من وساطة الصليب. «أمّا الرب فسُرَّ أن يسحقه بالحزن» (أش ٥٣: ١٠).

لذلك لا تتحقّق مسرّة الله في الكنيسة وفينا من دون عبور الصليب والجلجلة. بهذا نتجدّد ونتجلّى، نتّخذ شكلًا جديدًا له علاقة مباشرة بمسرّة الآب. بات المسيح «آدم الجديد» في اتضاعه الأقصى، وإفراغه الكامل لذاته، وطاعته «حتى الموت موت الصليب» (في ٢: ٨) طريقنا إلى القيامة والحياة والمسرّة. «لا أحد يأتي إلى الآب إلا بي» (يو ١٤: ٦).

التدبير الإلهي والكنيسة اتّخذا طريقًا تعبُرُ بالصليب. لكن نهاية المطاف والغاية النهائية لحياتنا في الكنيسة والمجتمع تبقى في ما أعدَّهُ الله منذ البدء للذين يحبونه أي الاتحاد النهائي لله مع قديسيه حيث «يضيء الأبرار كالشمس في ملكوت أبيهم» (متى ١٣: ٤٣).

الجديد والتجدّد

نستقبل عامًا جديدًا ونودّع عامًا انصرم، هذه حال البشريّة على الأرض من ولادة الإنسان إلى مماته. لكن هذه السنوات تُنتج أناسًا يبرزون ويبدعون وآخرين يغرقون في مستنقعات الحياة. أن نودّع عامًا، أمرٌ روتينيّ إذا نظرنا من منظار عالميّ، لكنّه نعمة إلهيّة من المنظار الروحيّ، إذ يعطينا الله فرصةً جديدة للتوبة والإتّحاد به.

مع طغيان المنحى العالميّ على مجتمعاتنا، نجد أنّ وداع العام المنصرم هو مضمارٌ جديد يخوض فيه الإنسان معركةً ضدّ الذات والمجتمع والتجّار سعيًا وراء ربحٍ ماديٍّ بحت. أمّا مع حلول العام الجديد، فنحن نودّع القديم وصعابه التي لاحقتنا لنأمل بإيجابيّات قد تصادفنا لنصل إلى حالٍ أفضل. إنّنا، بإحتفالاتنا الدنيويّة، نودّع ما نريد أن ننساه من العام المنصرم، لنودِعَ العام الجديد خميرةً نبني عليها أحلامنا وتطلّعاتنا.

أمام كلّ هذا، لا نزال ندور في عالم الماديّات الزائلة والمجد الباطل الذي علّمنا الربّ يسوع أن نرفضه. ففي حين يجد الإنسان في العام الجديد فرصةً لتحقيق نجاحاتٍ عالميّة، يجد المؤمن نفسه أمام فرصةٍ جديدة للتوبة، هي نفسها التي يمنحه إيّاها الله كلّ صباحٍ حين يفتح عينيه. إنّ روح الله، الذي لا يزال مرافقًا البشريّة منذ العنصرة، هو يجدّد الخليقة لتكون كلُّها جديدة، لا السنوات فقط. فرصة التوبة هذه هي تجديدٌ للداخل، للذّات الإنسانيّة في علاقتها مع الله. التوبة فقط تجعلنا نخلع إنساننا العتيق ونلبس الجديد لنكون أبناءً للّه مستحقّين أن نتجاسر ونناديه «أبانا».

ثمّة تساؤلان يخطران على بال المؤمن أمام تغيّر السنين: «ماذا يريد الله من الإنسان؟»، و«ماذا يريد الإنسان من الله؟». الإجابة عن السؤال الأوّل بسيطة، فالله يريد خلاص الإنسان، يريده سيّدًا كما خلقه في البدء، لا عبدًا كما أراد الإنسان حينما أخضع ذاته للشيطان. يريد الله أسيادًا يشاركونه في مجده لا عبيدًا يريدون أن يصنعوا مجدًا باطلًا زائلًا لأنفسهم. أمّا الإجابة عن

السؤال الثاني فمرتبطة بإرادة الإنسان وعبوديّته لشهواته ورغباته. يريد الإنسان من الله أن يقدّم له كلَّ يومٍ ما يريده وما يطلبه هو، لكنّ اللهَ لا يعطيه سوى ما يوافقه على حسب قول الرسول بولس: «كلّ شيءٍ مباحٌ لي ولكن ليس كلّ شيءٍ يوافق» (١كو ٦: ١٢).

أمام تغيّر الظروف والسنين، يبقى الله هو «الكائن» كما يقول سفر الرؤيا. هو غير المتغيّر وغير المتحوّل، الدائم وجوده والثابت الوجود على حسب ما نقول في أفاشين القدّاس الإلهيّ. أمّا اهتمامات الإنسان ومتطلّباته وواقع حياته وظروفها فتتغيّر، حسب رغبات الإنسان وحسب المصالح التي تطغى على العلاقات. التساؤلات التي يطرحها الإنسان حول علاقته بالله وعلاقة الله بالبشريّة تتغيّر. تتغيّر السنوات أيضًا، أمّا الثابت الوحيد فهو الله. لذلك، حتّى حين تسيطر علينا المشاعر والظروف، علّمنا الربّ يسوع أن نقول عبارةً تعطينا القوّة لأن نغلب الشياطين «لتكن لا إرادتي بل إرادتُك» (لو ٢٢: ٤٢). نجتاز، بهذه العبارة، كلّ الصعاب والسنين لنبلغ الميناء الهادئ حيث الراعي الصالح يعرف الخراف والخراف تعرفه.

إذًا، الجديد المطلوب كلَّ عام هو تجديد العلاقة مع الله، لا تجديد وتحديث العلاقات الماديّة فقط. كلّ العلاقات التي ننسجها في هذا الدهر عليها أن تصبّ في هدفٍ واحد هو الخلاص والإتّحاد بالله. الجديد هو أن نخرج من عتاقة الحياة القديمة ونكون خميرةً تُصعِد البشريّة نحو الله. الجديد ليس اللّباس المادّيّ بل أن «تلبسوا الإنسان الجديد المخلوق بحسب الله في البِرّ والقداسة والحقّ» (أف ٤: ٢٤).

فلندخل الحياة الجديدة من بوّابة التوبة لكي نكون أنقياء، متجدّدين داخليًّا، لأنّه «ليس أحدٌ يضع رقعةً من ثوبٍ جديد على ثوب عتيق» (لو ٥: ٣٦). دعونا نخلع الإنسان القديم وننقّي النفس لكي يضيء فينا المسيح فنرى حياتنا جديدةً، فيه ومعه، كأبناء مختارين للملك، لا كعبيدٍ ضعفاء مستضعفين.

رأس السنة

بمناسبة ذكرى ختانة ربنا يسوع المسيح بالجسد وتذكار أبينا الجليل في القديسين باسيليوس الكبير ورأس السنة يترأس سيادة راعي الأبرشية المتروبوليت الياس القداس الإلهي عند العاشرة من صباح الثلاثاء ١ كانون الثاني ٢٠١٩ في كاتدرائية القديس جاورجيوس.

يستقبل سيادته المهنئين بالعيد بعد ظهر الثلاثاء ١ كانون الثاني من الساعة السادسة حتى الساعة الثامنة مساءً.

للإطلاع على أخبار الأبرشية:

www.facebook.com/metbei

أو

www.quartos.org.lb

العالم السماويّ. المسيح يأمر فلا نقاومه. لتصفّق فرحاً كلّ الأمم كما في محفل واحد، لأنه «ولد لنا صبيّ وأعطي لنا ابنٌ رئاسته على عاتقه». لأنّه يحمل الصليب ويرتفع عليه، ويُدعى اسمه رسول الرأي العظيم وإذا ما هتف يوحنا قائلاً: «أعدّوا طريقَ الرب»، فأنا سأنادي في الورى بمعاني هذا اليوم: غير المتجسّد يتجسّد، والكلمة يتّحد بالأرض، غير المنظور يُنظر وغير الملموس يُلامس، ومن لا بدء له يبتدئ، وابنُ الله يصير ابن الإنسان، يسوع المسيح هو أمس واليوم وإلى جيل الأجيال، فليتشكّك اليهود وليسخر اليونانيّون، وليهذر الهراطقة ما شاؤوا أن يهذروا. وإذا لم يكونوا رأوه صاعداً إلى السماء. فلا بدّ من أن يروه نازلاً ليدين العالمين. وتلك الساعة آتية لا ريبَ فيها. أمّا اليوم فنحتفل بالميلاد الإلهيّ. المسيح كان قبلاً ودائماً، وهو الكائن الأزليّ من الكائن الأزليّ، وهو له المجد، فوق كلّ سبب، وقبل كلّ كلمة لأنّه لا توجد كلمة تسمو على الكلمة الحقيقية. ومن أجلنا تجسّد في ما بعد ليهبَ لنا الوجود السعيد، الذي ابتعدنا عنه بسبب الخطيئة.

القديس غريغوريوس اللاهوتي